مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الحادي عشر : ص ص 66-84 ISSN:2709-2097
06/06/2021

مركزية القرآن في الفكر الإصلاحي عند فريد الأنصاري

The centrality of the Quran in the reformist thought of Farid Al anssari.

عبد اللطيف تحفين طالب باحث في سلك الدكتوراه جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، المملكة المغربية.

Abdelatif Tahfine. Research student in the PhD Chouaib Doukkali University. Faculty of letters and Humanities. El jadida, Kingdom of Morocco.

البريد الإلكتروني: tahfineabdallatif@gmail.com

الهاتف: 00212661901310

الملخص:

يعتبر القرآن الكريم ذو أهمية لا متناهية في الحركة الإصلاحية المتواترة عبر العصور، بحيث يدعوا الخطاب القرآني منذ تنزله دائمًا وأبدا إلى تبني الفكر الإصلاحي والتجديدي من خلال معالجة الاختلالات العامة التي تلحق الانسان والمجتمع وتضرب البنية الفكرية والاعتقادية والسلوكية وحتى العملية له، لذلك؛ نراه يطرح تجربة الأنبياء والرسل التي تجدها حاضرة على امتداد سوره في المقابل للتأسي والالتزام والنذارة، وبذلك ينفخ في الإنسان الحركة الحضارية لتبني فكر الإصلاح ومدافعة الفساد، وهذا ما سنحاول من خلال هذا المقال التّعرض له بحيث سنقوم ببيان محورية القرآن الكريم في الفكر الإصلاحي: وقد ارتأيت أن يكون العلامة المغربي فريد الأنصاري نموذجا.

الكلمات المفتاح: القرآن – الفكر – الإصلاح

abstract:The Noble Qur'an is of infinite importance in the reform movement that has been going on through the ages, so that the Qur'anic discourse, ever since it was revealed, calls for the adoption of reform and regenerative thinking by addressing the general imbalances that afflict man and society and strike the intellectual, belief, behavioral and even practical structure of it. Therefore; We see him presenting the experience of the prophets and messengers that you find present throughout his Surah in return for misfortune, commitment and vow, and thus he breathes into the human the civilization movement to adopt the thought of reform and defend corruption, and this is what we will try through this article to address it so that we will explain the centrality of the Noble Qur'an in reform thought: I have seen For the Moroccan scholar Farid Al-Ansari to be a model.

Key words: The Qur'an - Thought - Reform

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على خير العباد، تبصرة وذكرى لأولي الألباب، وأودعه مجامع العلوم والحكمِ وجعله حصنا من كل النقم ، ومجلبا لكل الرحمات والنعم، فأجزل فيه البيان موعظة وهدى للثقلان وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أكرم النسب وأشرف الشعاب، إلى الأمة الخيرية بأفضل كتاب، صـلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب صلاة وسلاما دائمين إلى يوم المــآب.

وبـــعـد:

لا شك أن الصلاح هو الغاية المطلوبة من العباد في الاعتقاد والأقوال والأعمال؛ وهذا ديدن الرسالات السماوية التي عبرت بتتابعها تتابع الحاجة إلى التجديد والرجوع إلى قيم ومركز التوحيد فبغير الصلاح لا تقوم أي غاية، ولا توضع لبنة ولا يلعوا شأن أو حال. وإن من الأشياء العظيمة أن يكون الإنسان صالحاً في قوله وعمله، فالأحسن عملا ما كان مخلصا صائبا فيه القيام به، بل هو مدعو أن يكون مُصلحاً في قوله وعمله؛ فالصالح مشغول بنفسه منحصر في دائرته، منهمك في خويصة ذاته، وأما المصلح فمن الناس وحامل لهمومهم مرتقب لنزول الخير بساحتهم وهو منهج الإسلام في طلب نموذج الانسان المستخلف ليقوم بالأمانة، للوصول إلى العمران بجلب السعادة والفضل للنفس بتزكيتها وقياما بطاعة الخالق لنيل رضوانه، وإحسانا وتكاملا مع باقي جنسه لأداء مهمة الاستخلاف وعمارة الأرض.

ولما كَثُر الحديث عن الإصلاح في هذا العصر، وظهرت نماذج للتجارب التي ترفع شعار الإسلام وتتحدث باسمه، وتحاول تقديم إجابات بالإصلاح، ارتبك لديها المنطلق جانبا عن المنهج السديد للقرآن الكريم وطريقة معالجته للآفات بتدرج، واختل لديها المنهج النبوي في إقامة الدين، رغم استحضاره، وصار التوجه لإقامة المؤسسات قبل بناء الانسان والاسرة والمجتمع القرآني، وسابقا عن الوصول لهدف إقامة الاستخلاف بالربانيين الذين يؤدون رسالة الأنبياء تلاوة لآيات وتعليما للحكمة وتزكية لتحصيل القيم والفضائل المانعة من الانزلاق، والمانحة للثبات الروحي والفكري الصعب الاختراق ،و

للأسف ومع اهتزاز المفاهيم وانقاب وِزان الأشياء أضحت التجارب الإصلاحية إلى الضعف والتذبذب بسبب عدم هيمنة كتاب الله الحكيم على المرجعيات والمراجعات وتقديم بعض النظريات عن القرآن ومنهجه في إصلاح الأمم

أهمية البحث: وعطفا على ما تقدم تأتي مقالتنا موسومة بمركزية القرآن في الفكر الإصلاحي عند فريد الأنصاري، حيث تتجلى **أهميتها في بيان محورية** وريادة القرآن الكريم عند هذا العلم المغربي الرائد في تجربته ومشروعه ليكون هذا الرصد الأولي لما اتسم به فكره مطية لدراسات أخرى تأتي لدراسة مركزية القرآن في الفكر الإصلاحي عند عدد من الأعلام المغاربة والمشارقة الذين نهجوا طريق الإصلاح.

وقد تعددت الدوافع المحفزة لاشتغالنا على هذا البحث أهمها الدوافع الموضوعية فالحاجة الماسة لإدراك دور القرآن الكريم في الفكر الإصلاحي قائمة بغية فهم مقاصده ومراميه ومنهجه، واستحضار ما ينفع الفرد والجماعة والأمة للوصول للخيرية والنفع العام بمنهج النبوة في الاصلاح

أهداف البحث: يهدف البحث للكشف والتعاطي مع الموضوع أولا بالتطرق لنبذة عن حياة العلامة فريد الأنصاري، ثم بيان الفكر الاصلاحي عنده وذلك من خلال الإجابة على سؤال الإشكالية البحثية

الإشكالية: إلى أي حد بلغ اعتماد محورية القرآن في الفكر الاصلاحي عند فريد الأنصاري؟ وما علاقته به؟ وكيف تشبث بمنهجه وصيره منطلقا في مشروعه الدعوي التربوي التجديدي

المنهج العلمي: وتزكية لهذا الموضوع عملت على اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، والذي أطمح أن يساعدني في رصد وتحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسة والثانوية التي تتمثل في بيان:

- التعريف بالعلامة فريد الأنصاري رحمه الله.
- تبيين دور القرآن في تحقيق الإصلاح.
- إدراك حقيقة توظيف فريد الأنصاري للقرآن في منهجه الاصلاحي.

المحور الأول: نبذة مختصرة عن فريد الأنصاري

مولده: ولد العلامة فريد الانصاري رحمه الله بقرية "أنيف" في 19 ربيع الثاني سنة 1380 هجرية الموافق لسنة 1960 ميلادية بإقليم الراشيدية بالجنوب الشرقي للمملكة المغربية من والده أبي الحسن بن محمد بن المكي القاضي،

ويرجع نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري[1] وأمه عائشة مهاجر الامازيغية نشأ وترعرع ببيت جده [2]في قرية الجرف بعد أن رحلت اليها أسرته صغيرا – وهو أصغر اخوته السبعة– وبها أثم مرحلة تعليمه الابتدائي سنة 1974 بعدما نال حظا وافرا من التعليم الاصيل المتمثل في حفظ القران الكريم، ثم بعدها انتقل إلى أرفود فدرس بها المرحلة الاعدادية عند الفقيه العالم الداعية أبو أيوب فريد بن الحسن بن محمد بن حسن الضرير بن محمد بن المكي القاضي الأنصاري السجلماسي الخزرجي.[3]

نشأته: ترعرع ببلدته التي ولد بها بنواحي الراشدية، وكان أبوه خريج القرويين، معلما هناك فهو سليل أهل صلاح وعلم. وكان، رحمه الله، يُرجع الفضل في بذرة التدين فيه، إلى أسرته المحافظة، خاصة أمه رحمها الله، التي تربت في حجر جدتها لأمها الأمازيغية. وقد نشأ في صغره، يجيد الأمازيغية ويتكلم بها، واحتفظ بقدرته على فهمها في كبره، وإن كان نسي الإفصاح بها[4]!

---

[1] ذ. عبد الحميد الانصاري ، فريد سيرة واثار ، المحجة 2010 العدد 301 / 3.

[2] كشف المحجوب وقد ذكر أخاه عبد الحميد الانصاري أن البيت الموصوف هو بيت الجد.

[3] لم أقف على هذا النسب مكتوبا بهذه الطريقة، ولكن هذا ما جمعته من عدة مواقع ومن المقال الذي كتبه (شقيق الدكتور فريد) عبد الحميد الأنصاري، وذكر فيه اسم جده وجد جده، والسجلماسي الخزرجي كان يكتبها الشيخ فريد في أغلب مقدمات كتبه رحمه الله.

[4] جريدة المحجة العدد 330-331 بتاريخ 14-11-2011، للأستاذ عبد الحميد الأنصاري (شقيق الدكتور فريد الأنصاري).

مسيرته التعليمية: أنهى تعليمه الإبتدائي سنة (1974م)، وقد حكى رحمه الله أن والده، رحمهما الله، كان حريصا عليه في التأهيل العلمي! وفي تعليمه الإعدادي كان شغوفا بالقراءة، ، فقرأ، وهو في المرحلة الإعدادية، كتاب (في الشعر الجاهلي)، وروايات المنفلوطي، وروايات جرجي زيدان[5].

وبانتقاله إلى المرحلة الثانوية سنة (1978م)، التي درسها في بلدة (كلميمة)، كان له أول احتكاك عملي مع فكرة الدعوة الإسلامية؛ ، يتعلق الأمر بتصرف عفوي من يافعين يتداولون محاضرات مسموعة، كنوع من الوسائل التي كانوا يستعملونها في نشاطهم الدعوي، إضافة لمجلة تكتب في دفتر يتداولونه بينهم، وكانوا أبو أيوب، رحمه الله، صاحب فكرتها والمشرف عليها[6]، ثم التحق، رحمه الله، بالجامعة في (ظهر المهراز) بفاس، سنة (1981م)، وهي السنة الثانية من تأسيس شعبة الدراسات الإسلامية، فاختارها مسلكا علميا له.

ولم يرو عنه أنه تولى أي مسؤولية تنظيمية في مرحلته الجامعية قبل شهادة الإجازة،بل كان متفرغا لتثقيف نفسه، وينصح صراحة من يريد تكوين نفسه ألا يعتمد على ما تقدمه له هذه الجماعة أو تلك، بل يشمر عن ساعد الجد ويسلك دربا عصاميا، دون أن يتجافى عن موارد الخير أينما كانت[7].

وبمجرد حصوله على شهادة الإجازة سنة (1985م)، رحمه الله، حصل على امتياز منحة دراسية لإتمام الدراسة في فرنسا، لكنه نظر للأمر نظرا مقاصدياً، فآثر السير في طلب العلم الشرعي، حيث الجودة فيه،هنا في المغرب، لا هناك في الغرب، ثم تيسر له الإلتحاق بما كان يسمى (تكوين المكونين)، وحينها بدأ رحلة البحث العلمي ، وفي سنة (1986-1987)، قدر الله له أن يختار الإمام أبا إسحاق الشاطبي موضوعا تحت اشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي والدراسة المصطلحية التي نبغ فيها، ثم واصل على هذا المنوال في بحث الدكتوراه حتى ناقشها سنة (1999م)، ويحكي، رحمه الله، عن منهجه في التعامل مع البحث، أنه كان يأخذ فيه بسنَّة التعامل مع العبادة، فلم يكن يغلو ولا يجفو فليس

---

5 موقع أئمة المغرب، ترجمة الداعية المغربي فريد الأنصاري، بتاريخ 02 فبراير 2015. بتصرف
6 نفس الموقع السابق (بتصرف).
7 موقع أئمة المغرب، بتاريخ 2 فبراير 2015.

الأهم أن يقرأ الطالب كثيرا، بقدر ما الأهم أن يقارب بين فترات قراءاته، حتى لا ينقطع له خيط النور العلمي، ويتشتت عليه موضوع بحثه[8] فهذا أول رهان على الباحث أن يكسبه في تعامله مع البحث؛ بإتقان طريقة المراوحة بين الاستراحة والبحث، فيتصيد أوقات نشاطه ويعمل فيها، فإن تعب استراح إلى حين تجدد الشِّرة.[9]

وهذه الطريقة المستهلة من السنة، هي الكفيلة بأن تجعل الباحث تنهال عليه الإشراقات دون أن يتكلفها، وتروي عنه زوجه أنه قد ينهض من فراش النوم ليلا، فيدون بضعة أسطر، ثم يرجع للنوم بعدها! ويقول إن مثل هذه الخواطر كالنفحات، من لم يقيدها بقيد الكتابة في وقتها، فقد لن تتأتى له بعدُ أبدا![10]

المحور الثاني: الفكر الاصلاحي عند فريد الأنصاري

يعتبر القرآن الحكيم هو الرابط الجامع لكل كسب العلامة فريد الانصاري وهو الموجه لفكره حادي روحه، ومداره كلامه وتنظيره وملهم مشروعه المقتبس من نوره ومنهاجه وهو كلام الله عنده ووحيه لذلك وسم مشروعه المنتظم عبر سلسلة من الإصدارات وبعد أمد من المطالعات والمراجعات ب "من القرآن إلى العمران" ليكون محور العمل ورفيق السير و موجا للتفكير و ضابطا للتدبير.

وقد قال رحمه الله : الربانية هي مرتبة الامامة في مجاهدة النفس بالقرآن ، على الالتزام بحقائقه الايمانية والتخلق بحكمته الرحمانية، إخلاصا لله. وقد وصف رحمه الله مفهوم القرآن بقوله: ذلك هو القرآن كلام من أحاط بمواقع النجوم خَلْقاً، وأمراً، وعلماً، وقدرةً، وإبداعاً. فجاء كتابه بثقل ذلك كله، أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، من بعدما هيأه لذلك، وصنعه على عينه سبحانه جل وعلا، فقال له: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾المزمل:5.

---

8 جريدة المحجة، عدد 330-331 بتاريخ 2011/11/14 (الأستاذ عبد الحميد الأنصاري) بتصرف.

9 الشِّرة: النشاط، والحماس.

10 المرجع السابق (بتصرف).

كما كان يرشد ويقول مشيرا ومنبها لمركزية القرآن في حياته الدعوية رحمة الله عليه يا من تبحَثُ مثلي عن طريق الله!! برنامَجُك العملي وميثاقُك الدعوي؛ كِتاب واحدٌ، لا ثاني لَه: هُو القرآن العظيم!! وشيخُك الراعِي وأستاذُك الدّاعي؛ مُرَبٍّ واحدٌ لا نظير له: هو من (كان خُلُقُهُ القرآن) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما مَقَرُّك الدعوي، ومنْطلقُك (الاستراتيجي) فمكان واحد لا بديل له: هو بيتُ الّله!! فاطرق باب المسجد تَجِدْ وجهَ الله! وادخل فضاءَ القرآن تَسْمَعْ كلامَ الله!

إن المركزية القرآنية هي منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في مسيرته الدعوية، كما أنها دليل ساطع على التعلق بالقرآن والانضباط والانقياد له، واتخاذه قائدا وموجها فهو "الوحي لا يصل إلى الناس إلا بعد أن تشتعل بحرارته قلوب الدعاة إليه، وتلتهب هي ذاتها بحقائقه، وتتوهج بخطابه ! فلا نور ولا اشتعال إلا باحتراق."11

ومن تأمل ما ذكرناه آنفا وجد أن هذا التصور الجامع على امتداد منتوجاته الفكرية التي تؤسس للإصلاح وهي لسان حاله ومقاله فمصدرية القرآن الكريم اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في جعله مصدرا للحياة ولتربية الناس واجتثاثهم من مستنقع العبودية لغير الله إلى توحيده، بل المصدر الأوحد للتربية هي القرآن العظيم.

يعد القرآن العظيم في الفكر الاصلاحي لدى العلامة فريد رحمه الله أصلا راسخا في روحه و وجدانه الذي ركب فيه تدبر القرآن الكريم؛ وسار به إلى استلهام كنه كلام الله فجاءت انتاجاته العلمية تثري بتبيين مغازي رسالات القرآن الملهمة لإنتاج الانسان الصالح المصلح والذي سيقوم بمهة الاستخلاف والعبادة بكل ما تقتضيه من معاني عن طريق اقتباس وتناول إشارات الكتاب الحكيم لإقامة الحضارة كما أرادها رب الكون ، وقد نص على ذلك قائلا: الاصلاح الذي يصنعه القرآن والذي تبين نفعه وجدواه

---

11 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، درا السلام، مصر، الطبعة الأولى سنة 2009. فريد الأنصاري، ص118.

في المجتمعات والنفوس التي دانت له وظهر عميقا في وجدانها وحالها، أظهر ملحاحية وجدواه في إنجاز نهضة عمرانية...

وهو عنده النبراس والمهيمن الذي تتم به المعجزات وتجتمع بفضله المتفرقات فكيف لا يكون له أثر على الانسان الذي هو جزء من هذا الكون ليقوم بالمراد منه وتقويمه وتزكيته لتأهيله ليكون عبدا لله منتظما في لوائه لكون " إن القرآن من حيث هو كلام الله الأزلي؛ كان في تربيته للإنسان على أخلاقه؛ ناظما له في سلك العبودية، السائر إلى الله عبر أنوار الأسماء الحسنى، والصفات العلى وتلك هي الأخلاق الكونية الكبرى، التي جاء الإسلام ليصنع الاجتماع الإنساني على وزانها، وينشئه على مقياسها ونظامها"12

ومع علمه واستقراءه رحمه الله لمهمة الأنبياء ووجوب انخراطه في حركة بعث الأمة انطلاقا من القرآن فقد اختاره رفيقا ومستندا لتجديد الدين على مستوى الفهم والعمل فكان رحمه الله العالم العامل الداعية المحيط بأحوال واقعه الفاحص المدقق الوقاف عند الأخطار المحدقة بمحيطه والحامل لهموم بلده وأمته تطلعا لإصلاح ما اندرس من حال التدين وما انحرف من فكر وسلوك المجتمع وما اختل من لبناته ليحاول استدعاء دواء القرآن لأدواء ما يلاقيه في زمانه وما يستقبل من الأيام
فكان يقول رحمة الله عليه " أليس هذا القرآن هو الذي صنع تاريخ وجغرافيا المسلمين؛ فكان هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف؟ وكان له هذا الرصيد الحضاري العظيم، الموغل في الوجدان الإسلامي؛ بما أعجز كل أشكال الاستعمار القديمة والجديدة عن احتوائه وهضمه! فلم تنل معاول الهدم وآلات التدمير بشتى أنواعها وأصنافها المادية والمعنوية، وبقي-رغم الجراح العميقة جدا-متماسك الوعي بذاته وهويته.13 وهو ما يشيد به دائما ويستله للتأكيد على قوة حجة القرآن وكفايته في تضميم جراح الأمة وتعزيز مقاومتها ورفع مقوماتها أمام المطبات وتحدي خطوب الجهل والتبخيس

12 الكونية الاخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الانسان/ فريد الأنصاري المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي ص: 211.
13 مجالس القرآن مدارسات في الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، مصر.ج 1 ص:9.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد الحادي عشر : ص ص 66-84 ISSN:2709-2097

إن الفكر الاصلاحي عند العلامة الانصاري اتخذ من القرآن الكريم شهابا قبسا بعد ما آنس من نوره الهدى والهداية؛ ليكون منهجا لرسم طريق الإصلاح ويكون في نفس الوقت اداة لها يقول رحمه الله:"إن عودتي إلى القرآن مدارسة وتدبرا؛ كشفت لي أنني كنت أمُر على كثير من الآيات دون أن أبصرها! نعم لقد قادني التدبر للقرآن العظيم إلى أن اكتشف أن النظر لا يعني الابصار"14 وقد سار وفيا في كل محطات عمره خاصة بعد مراجعاته واستقالته من انخراطه في التنظيمات الإسلامية خاصة بعد رحلة الحج عام 2000م إلى الارتكاز على كتاب الله ليصير عنده كما ردد استبصار للطريق بعد مدارسته وتدبره للآيات

ويعتبر رحمه أن من حاد عن منهج القرآن في الإصلاح؛ فقد، فقد نوراً وهادياً في ظلام الدنيا وكبَدها وترك حبلاً يصله بربب السماء يستلهم منه العون والمدد و يصمد اليه أمام أهوال الحياة التي لا يمكن أن تتزين وتستقيم إلا باستلهام علوم القرآن واعتمادها لتمهيد طريق الناس والعودة بهم إلى مراد خالقهم فعنده : "لا بركة في عالم لا يرى بنور الله تعالى، ثم أن لا نهضة ولا يقظة لهذه الأمة إلا بتجديد صلتها بالقرآن، وبإعادة الحياة إلى إيمانها به وذلك بإحداث (تداولية قرآنية) واسعة بين كل شرائحها الاجتماعية والثقافية. وهو أمر لن ينهض به غير العلماء. فكيف إذا كان هؤلاء العلماء أبعد الناس عن القرآن تلاوة وتزكية؟ تلك يقينية علمية دعوية فصلناها في مواطن شتى.15 فالقرآن عنده أصل للبعثة والاحياء كما الماء الذي ينبث الزرع بعد نزول على الأرض القاحلة المقفرة فحامله يجب أن يكون الصيب النافع الذي يساق إلى الإِض الموات فيحييها بعلمه المستمد من الوحي
ومما يذكر له رحمه الله أنه سار باحثا في دروب العلم والدعوة لفهم معاني القرآن الحكيم وتطبيقاته لدى الدعاة وبذلك اطلع على ما كان من مدرسة النورسي ألتماسا لصوابية استبصاره : "ثم لا بد بعد ذلك من ذكر ما كان لرسائل بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله من أثر كبير في تجلية هذا المعنى في قلبي،

14 بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل ابصار لآيات الطريق، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى سنة 2009 ص 20.
15 مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة سنة2014، ص53.

ذلك أنه رحمه الله كان يتعامل مع القرآن بمنهج إبصاري."16 كما كانت تجارب اطلاع أخرى لمدارس اصلاحية وقف عندها ليصل إلى مرحلة التجديد والإصلاح هي دعوة كلية تعيد صياغة الإنسان من خلال استعادة إنتاج التنزيل القرآني، بمنهجيته التربوية الربانية الشاملة، بوعي علمي راشد، قوامه (الفقه في الدين) بمعناه الكلي.17

ومما كان يؤرق فريد الانصاري رحمة الله ويجعله شعارا له تمثل طريق النبي صلى الله عليه وسلم إحياء وتركيز التوحيد المجتمع عن طريق إعادة بناء الإنسان من خلال استخراج من جديد " وبناء الإنسان القرآني" الذي يقوم بصناعة الحضارة انطلاقا:" من القرآن إلى العمران"، لتحقيق " تداولية قرآنية.18

إن الذي أثر في نفس الداعية المربي فريد الانصاري فيما عايشه، وعاصره ووقف عنده هو انقلاب المنهج كما يسير عليه أبناء الحركة الاسلامية...من العمران إلى القرآن لأنه ووصفه بأنه منهج مقلوب... ولكن الأهم هو كان عنده هم أكبر من النقد ومحاولات النقض فكان "العمل الاستراتيجي المتعلق ببناء الرصيد الروحي المنتج للأجيال "،همه" وتوسعة (الاحتياطي) في مجال بناء الإنسان القرآني، الذي غيب مثار قلقه ومطلبه للإنتاج وهو ما لم تنتبه له التيارات الإسلامية فصار كما وصف "تأثيرها في هذا الآن محدودا جدا ضمن دوائر ضيقة، ولن تزداد- مع تبلورها الحزبي-إلا ضيقا! لما للمنهجية الحزبية من ارتباطات ميكانيكية، تغرقها في الجزئي واليومي.19

هذا المنهج المقلوب الذي كان حاضرا لدى التنظيمات الاسلامية كان عند الانصاري أيضا لكن عقب قيامه بمراجعاته توصل إلى طريقة القرآن في الاصلاح وهديه في صناعة حياة المجتمعات فسار على منواله متبصرا لخطواته في إقامة الدين وتعبيد الناس لرب العالمين وجعل الوحي مرجعا ومؤنسا للوصول

16 بلاغ الرسالة القرآنية من أجل ابصار لآيات الطريق، فريد الأنصاري، هامش ص 20.
17 انظر: الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري، ص 72.
18 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري، 165.
19 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري، ص83.

للبُغية قال" لا نبني بناء، ولا نعمر تعميرا، إلا على أساس من كتاب الله وسنة رسوله إن القرآن العظيم تصميم رباني راق لبناء ضخم، ما كُلف الإنسان إلا بإنجازه، على شموليته وامتداده، بدءا بعمران الإنسان حتى عمران السلطان. " 20.

وتنزيلا لخطوط مشروعه الكبير الذي شيده فقد جعل القرآن الحكيم القاعدة الأساس والمنطلق الذي يرسم الرؤية الاصلاحية عنده بهدف إعادة إحياء الأمة وإعطائها المكانة التي تستحق بتحيين شهودها الحضاري على العالمين وإعطائها ما تستحقه من مكانة انطلاقا من رسالات القرآن وصولا إلى السعادة العاجلة والآجلة وهو ما صار ت له قاعدة مركزية قرآنية في التصور والمنهج والغاية لتحقيق الإصلاح عند فريد الأنصاري.

لم يدع المجال على الغارب للتنظير بحيث بين رحمة الله عليه أن القرآن كما مشروعه الفطرية[21] "مدرسة" لتلقين ما تم استلهامه من رسالات القرآن قصد إخراج وصناعة الإنسان القرآني وتلقي تلك الرسالات لتكون ركنا للفطرية ووسما لها وذلك إما بواسطة برنامج الربانية، أو بإعمال تطبيق مجالس القرآن سعيا لإنفاذ الصلاح بمدارسة وتدبر آيات الله وتصحيحا لفطرة المعوجة والمتهالكة بجعل القرآن لها دواء وشفاء، كما استقامت بذلك النفوس الأشد خرابا إبان البعثة المحمدية ونزول الوحي.

إذاً فالمقصد الإلهي من القرآن كان ولا يزال كذلك هو اصلاح فطرة الناس التي عملت فيها العوادي وفترة الرسل كل قبيح ومنكر فما كان إلا أن ختمت الرسالات بدواء نهائي هو القرآن المجيد وكأن السماء أرادت أن تضع المنهج النهائي الذي تنقادُ وتنقدُ به النفوس بعد الرسالات المتوالية التي توحي بأنه كلما فسد الأمر احتيج لجرعة الشفاء لكن النور الخاتم هو القرآن وهو الفعال لكل ما يستقبل من الأوباء إلى قيام الساعة.

20 بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل ابصار لآيات الطريق، ص15 / 16.
21 الفطرية والعالِمية ومجالس القرآن تعد أركانا متينة للمشروع الإصلاحي عند الانصاري رحمه الله

ولذلك فرجل من نوعية الأنصاري لم يكن لتغيب عنه هاته الصورة فاستلهم بأن القرآن " بما هو كلامُ خالقِ الإنسان، العليم بأسرار تكوينه – هو كتاب إصلاح الفطرة الإنسانية وصيانتها. ومن هنا كانت الفطرية مدرسة قرآنية بالدرجة الأولى."22 وهكذا صار مناديا بلزوم عافية القرآن هدما لنزوات النفس وقيادة لها لسبيل الرشاد كما جبلت عليه دون تبديل لحكمة الله

ولم تكتف النبرة القرآنية و المناداة باعتمادها في مجال التربية والدعوة والبلاغ بل قد صارت لديه في المجال العلمي الدعوي إلى الرواية و بقية كتاباته ومؤلفاته الأدبية، يقول الأستاذ الفاضل الدكتور محمد البركة وهو أحد تلامذة وأصدقاء الشيخ فريد: "إن مدارسة القرآن وتفسيره وتدبره وتذوقه عند الدكتور ليست حبيسة كتبه العلمية أو الدعوية أو القرآنية، بل تتجاوزها إلى أعماله الأدبية، ورواية "آخر الفرسان" و" عودة الفرسان" شاهد على ذلك، لأن المنهجية التي عرض بها الدكتور فصولهما تنم عن ذكائه، حيث استطاع أن يجمع في النص الروائي بين الغاية والوسيلة، بين المشروع القرآن المبشر به وبين الأداة الروائية المصاغ في قالبها مضمون المشروع.23

إن تجديد مفهوم الدين على النحو الذي سار عليه الأنبياء، هو هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في تمثل أخلاق ومسلك القرآن وهو سماه فريد الأنصاري بالربانية الملهمة المحافظة على تباث أصولها ومرونة أدواتها المتجددة القائمة على العلم والحكم بما يقتضيه واقع الناس بإعمال مراد الله فالربانية: "هي مرتبة الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن، على الالتزام بحقائقه الإيمانية، والتخلق بِحِكْمَتِهِ الرحمانية؛ إخلاصاً للهِ أولاً؛ حتى تفنى في دعوتها عن كل حظوظها، فلا يقوم شيء منها إلا لله وبه! ثم شهادةً بذلك على الناس، تربيةً ودعوةً، ثم صبراً واحتساباً.24

22 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ص: 113.
23 الإبداع الروائي عند الدكتور فريد الأنصاري بين إيحاء التعبير وإحياء التغيير، تنسيق وتقديم د. محمد البركة، ص: 31.
24 بقد أورد الانصاري رحمه الله عض المعالم المنهجية؛ لتكوين شخصية الداعية الرباني، في تمهيد "برنامج الربانية."

هذه الروح المستنيرة لدى الانصاري بهداية الكتاب العزيز ودعوته لاعتماده لم تقف عند دعوته لتلاوته والاهتمام به بل جعل شعاره التنصيص على تدبره وتداوله في الشأن العام والخاص، والسير على منهاجه كأولوية إصلاحية ونهضوية فصار تركيزه على التزكية القرآنية العامة التي نهل الدعوة إليها من الحوض التربوي لمفخرة الغرب الإسلامي الامام الشاطبي الذي كان رجل تربية بامتياز. فكثير يعرف عنه أنه رجل المقاصد، لكنه زيادة على ذلك فهو إمام التربية وله كلام جميل في هذا المقام عن القرآن الكريم قال رحمه الله: "إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبُغية، وأن يظفر بالطُّلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول.[25]

لهذا كان توجهه – فريد الأنصاري – من قبيل نهج شيوخه استمدادا لثقافة اصلاحية نابعة من مصادر الوحي وثرات الامة والتوجه رأسا للتزكية القرآنية لأن " الدعوة هي منهج تنزيل الاسلام على الانسان" إلى اعتماد منهج القران في سبيل استعادة فكر الناس الذي سلب منهم جراء القرع المتوالي لأبواب الامة الهوياتية والحضارية واشتغال حركات الحت والتعرية القيمية التي مارسها الهدم الغربي على عقول بني الاسلام ولا يستثنى منه واقع لبلاد من أقطار الاسلام فما الحل عنده..؟

"نرجع إذن إلى القرآن، نحمل رسالته إن شاء الله –كما أمر الله – نخوض بها تحديات العصر يحدونا اليقين التام بأن لا إصلاح إلا بالصلاح، و أن لا ربانية الا بالجمع بينهما وأن لا مكان لكل ذلك – صلاحا واصلاحا وربانية – الا بالقرآن المجيد وهو قول الحق جل ثناؤه﴿ والذِينَ يمسكون بالكتاب وأَقاموا

25 الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، ج4، ص 144.

الصلاة إنا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلحين﴾الاعراف: 170. إذن الوظيفة هي التعلم والتعليم والصلاح والاصلاح فذلك التمسيك بالتدليل على الله ورسم الطريق اليه.26

لقد أراد الشيخ الانصاري رحمه على امتداد مشروعه تَمَثُّلْ منهج النبوة في إعداد النموذج للجيل القرآني وهو النموذج المبني على تشرب التوحيد ومنهج التلقي عن رب العالمين من المصدر المتمثل في الوحي بشقيه الكتاب والسنة تعليما وتلقينا وهو استلهام لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تربى على يده ابتداء من المدرسة الأرقمية وما تلقته الأمة ومجددوها قبل أن تختلط المفاهيم وتضطرب المناهج ..لكن يوكل الله لهذه الأمة من يظهر على الحق فينفون عنه كل شائبة وباطل

أما طريقة الأنصاري التي لا يفوتنا الوقوف عندها وكونه تنصيب نفسه ودعوة غيره لذلك فهي تشخيص السقم وأعراض المرض والمرحلة التي وصل إليها ثم وصف بالدواء الفعال وقوفا على مكن العلة بدقة لإنتاج الفكرة الصالحة المصلحة لتقويم ما اعوج من حال بشفاء القرآن.
وهذا ما طبقه رحمه الله في مسيرته بعد وقوفه على اختلالات الواقع ومشاهداته لانهيار القيم وتيه الأطباء عن استلهام الدواء بعيدا عن الطريقة المستقيمة كما أعملها الانبياء
يقول رحمه الله: "والدارس للسيرة النبوية ومراحلها يدرك سنة التدرج الرباني بالدعوة الاسلامية كيف انطلقت من القرآن إلى العمران عبر بناء الانسان والانسان أساسا فكان من أمر الله ما كان." 27
وعلى هذا الأساس دعا في مشروعه إلى التربية النبوية التوحيدية أخذا بمصدرية القرآن كأساس للإصلاح واعتماد "منهج التكوين،28 كما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربط للناس بالقرآن في جميع مراحل الدعوة

---

26 رجال ولا كأي رجل فريد الانصاري دار النيل لطباعة والنشر الطبعة الثالثة 2015 مصر الصفحة 237
27 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ص:28
28 التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ج 1 / ص: 67 - 68 – 69.

وقد كان ينادي رحمه الله كشكل من أبواب الارتباط بالقرآن باتخاذ ورد يومي منه لأنه حصن للداعية و استمساك بحبل الخالق، وسبيل تعليمي لإقبال الناس على هداه أذى ذلك عنده إلى تطوير مشروع مجالس القرآن لبناء الانسان انطلاقا من اعتماد المادة القرآنية المنتظمة عبر تلك المجالس لإقامة مشروعه من القرآن إلى العمران.

لقد بنى مشروعه هذا على بعث رسالة القرآن في وجدان الناس بتجديد الدين في فطرهم والسعي إلى استيعاب مفاهيمه و مقاصده وربط الناس بالتزام سلوكه الأصيل وتحكيمه في أحوالهم وتعرفا إلى الله عن طريقه كل ذلك في سعي لإعادة الاعتبار لكتاب الله داخل ، وتبليغه للإنسانية لأنه خطاب عالمي للعالمين وتكفل الدعاة بإنفاذ هذه المهمة والقيام بها على وجهها السليم ، قال رحمه الله:" إننا بحاجة شديدة إلى مدرسة قرآنية في فقه الدين وفقه الدعوة، تقوم على إعادة الاعتبار لكتاب الله بين المسلمين أولا، باعتباره أساس الخطاب الإلهي للإنسان، وباعتباره الوثيقة الأولى التي تتضمن هندسة العمران الإسلامي لبناء النفس والمجتمع.

ولا يكون ذلك إلا بالإحاطة بمفاهيم القرآن وتبليغها لا بتصدير النصوص دون تأثير ل:"إن الدعوة القرآنية: أن تتنزل إلى الناس بمفاهيم القرآن في العقيدة والعبادة والسلوك، تبشر تنذر به، تاليا له مستشهدا به، فهو حجة الله على عباده.

لقد تمثل الانصاري خلق الربانية وجعل القرآن محورا لمشروعه ودعوته ومنهجا نادى به كما نظر إليه للوصول إلى تحقيق الصلاح وإقامة العمران عن طريق الانسان المصلح الذي لابد أن يكون زكيا بالقرآن بعيدا عن سلامة الفطرة عالما ومتعلما بعيدا عن الاستيلاب وحاملا للمعاني البركات التي جاءت بالقرآن. حتى "يتغلغل في الأنفس, ويتسرب إلى أنسجة المجتمع الداخلية, وخلاياه الشعورية...فيُصبح بذلك هو (مُحرك الإصلاح) و(دينامو) العمل الدعوي"29.

29 الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ص:184.

الخاتمة

إن اعتماد فريد الأنصاري للمنهج القرآني في الإصلاح وجعله قطب رحى ومركز هاته العملية لم ينبع من فراغ، بل جاء نتيجة علو كعبه في المجال الدعوي، وهذا ما جعله رحمه الله ينتج مجموعة من المشاريع القرآنية بغية تحقيق الاصلاح، وعلاج الأمة من الأسقام والأزمات التي توالت عليها في ميادين شتى، وهكذا تكون رحلتنا البحثية سرت إلى الانتهاء وقد **خلصنا من خلالها إلى أن :**

النتائج:

- فريد الأنصاري رحمه الله أحد رواد الفكر الاصلاحي في المغرب خاصة والعالم الإسلامي عامة.
- اعتماد فريد الأنصاري رحمة الله للمنهج القرآني مركزا في مسيرته الدعوية الإصلاحية.
- استفادته رحمة الله من تجارب العديد ممن شُهِدً لهم بالتأثير في المجال الدعوي الإصلاحي.
- انتاجه رحمه الله لمجموعة من المشاريع القرآنية بغية الإصلاح وتحقق خروج الجيل القرآني الفريد.
- مناداته رحمه الله لاعتماد القرآن منهجا مؤطرا ودستورا ناظما لحياة الناس، إذا لا سبيل لإصلاح شؤون العباد في الدنيا والآخرة إلا بالقرآن على منهج الأنبياء ورسالات السماء.

فهرسة المراجع:

1. التوحيد والوساطة في التربية الدعوية،" الجزء الأول والثاني" نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، سلسلة كتاب الأمة القطرية العددين47 و48 سنة 1995.

2. مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية، منشورات ألوان مغربية، المغرب، الطبعة الأولى 2004.

3. الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب، دراسة في التدافع الحضاري، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة سنة 2014.

4. بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل ابصار لآيات الطريق، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى سنة 2009

5. جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح، منشورات ألوان مغربية، المغرب، الطبعة الأولى 2006.

6. ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله تعالى، مطبعة آنفو برانت، المغرب، الطبعة الثانية، 2010.

7. مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة سنة2014.

8. الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، درا السلام، مصر، الطبعة الأولى سنة 2009.

9. مجالس القرآن مدارسات في الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، مصر.

10. كشف المحجوب، مطبعة آنفو برانت، المغرب، الطبعة الأولى، سنة1999.

11. آخر الفرسان، مكابدات بديع الزمان سعيد النورسي، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط الأولى، سنة 2006.

12. الإبداع الروائي عند الدكتور فريد الأنصاري بين إيحاء التعبير وإحياء التغيير، تنسيق وتقديم د. محمد البركة

13. - رجال ولا كأي رجال، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، سنة2014.

14. جريدة المحجة العدد للأستاذ عبد الحميد الأنصاري (شقيق الدكتور فريد الأنصاري).

15. الكونية الاخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الانسان، فريد الأنصاري/ المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي.

16. موقع أئمة المغرب